

واقع سرطان الأطفال في الجزائر (دراسة تحليلية و احصائية)

الاستاذة الدكتورة عميرة جويذة أستاذة التعليم العالي

د. برادعية صليحة أستاذة محاضرة بـ

جامعة الجزائر 2 (أبو القاسم سعد الله)

مقدمة:

الصحة حق أساسي لكل إنسان، وهي حق لكل السكان دون النظر إلى العرق أو الدين أو المعتقدات السياسية أو الحالة الاجتماعية أو الاقتصادية، ولقد عرفت منظمة الصحة العالمية OMS الصحة بأنها حالة من اكتمال لياقة الشخص بدنياً وعقلياً ونفسياً واجتماعياً، ولا تقتصر على مجرد انعدام المرض أو الداء⁽¹⁾.

و من هذا التعريف نفهم ان مفهوم الصحة أوسع من مجرد مكافحة الأمراض و معالجتها والحيلولة دون حدوث وفاة أو ما تقدمه المؤسسات الصحية من رعاية على مختلف المستويات، بل تتعدى لتشمل كل الممارسات اليومية للفرد و المجتمع، و التي تؤثر على صحة الإنسان و سلامته. والحقيقة الثانية أن تعزيز الصحة هو في الأساس مسؤولية الأفراد والمجتمع وليست المؤسسات الصحية فقط⁽²⁾.

ويعدمرضالسرطانمنالأمراضالتيشهدتانتشاراكبيرافيهذاالعصر بينكلا لفئات العمرية ومنها الفئات العمرية الصغرى.حيثيستطيع السرطان أن يصيب كل المراحل العمرية عند الانسان حتى الاجنة ولكن تزيد مخاطر الإصابة به كلما تقدم الانسان في العمر،لهذا اختير يوم 15 فبراير من كل سنة يوما عالميا

(¹) أحمد حمد بدح و آخرون، الثقافة الصحية، دار المسيرة للنشر و التوزيع و الطباعة، عمان الأردن (2007) □ 09.

(²) أمل عبد الرحمن الجودر، أنماط الحياة الصحية، وزارة الصحة، قسم التثقيف الصحي، المنامة، البحرين(2002) □ 05.

لسرطان الأطفال، وذلك لزيادة الوعي بهذا المرض وأثره في الأطفال على مستوى العالم. حيث يصاب سنويا أكثر من 160.000 طفل في العالم بالسرطان، ويموت منهم قرابة 90.000، أغلبهم في الدول النامية والفقيرة.

وقد يشفى أكثر من 80% من الأطفال المصابين بالسرطان في البلدان المتقدمة. فحين يشفى أقل من 30% من هؤلاء الأطفال المصابين في البلدان المنخفضة الدخل والمتوسطة الدخل⁽¹⁾

1-تعريف مرض السرطان:

المرض هو الاعتلال الذي يصيب جسم الانسان و صحته، ويتضح هذا الاعتلال عادة من خلال الأعراض المرضية الاكلينيكية، سمات و علامات المرض و يكون ذلك في شكل تطوري يؤدي الى عجز وظائف الجسم عن عملها و يتطلب ذلك العلاج⁽²⁾

وتتقسم الامراض الى قسمين الامراض المعدية والامراض غير المعدية ومرض السرطان ينتمي الى هذه الأخير فهو مرض غير معدى، الا انه عندما يصاب بها الشخص فإنه يتطور وقد يؤدي الى الوفاة. ويعتبر سرطان الاطفال مشكلة عالمية حيث أن نسبة الإصابة به زادت في العقود الأخيرة بشكل واضح جدا.

السرطان مصطلح عام يشمل مجموعة من الأمراض التي يمكنها أن تصيب كل أجزاء الجسم، والخلايا السرطانية لها القدرة على الانقسام السريع ، بل ويمكنها النمو خارج حدودها المعروفة واقتحام أجزاء الجسد المتلاصقة والانتشار إلى أعضاء أخرى، وهناك اثنا عشر نوعًا من أنواع السرطان قد يُصيب الأطفال، حيث يعد سرطان الدم وسرطان الدماغ والأورام اللمفاوية والأورام الصلبة، مثل أورام الأرومة العصبية وأورام ويلمز، من أشهر أنواع السرطان التي تصيب الأطفال، وتزيد مخاطر الإصابة بالسرطان لدى الأطفال الرضع في حين تقل كلما تقدموا في السن.

⁽¹⁾<https://www.who.int/ar/news-room/fact-sheets/detail/cancer-in-children>

⁽²⁾ Yves juvain, Patrick roux. **petit Larousse de la médecine**. Distributeur messageries ADP, montereal, canada(2002), p 559.

والسرطان هو مرض ينجم عن حدوث طفرات في المادة الوراثية النووي مما يؤدي إلى تحول الخلية إلى خلية غير طبيعية تنقسم باستمرار ولا تموت، وتنتقل وتغزو المناطق المجاورة والبعيدة. حيث تتميز خلاياها بالتوغل والانتشار و الانقسام الخلوي غير المحدود، هذه الاخيرة لها القدرة على غزو الانسجة المجاورة وتدميرها، أو الانتقال إلى أنسجة بعيدة في عملية يُطلق عليها الامبثاث وهذه القدرات هي صفات الورم الخبيث ، ويمكن الكشف عن السرطان بعلامات وأعراض معينة أو اختبارات فحص. وبعد ذلك يتم إجراء المزيد من الاختبارات عن طريق التصوير الطبي⁽¹⁾

وقد عرفت المنظمة العالمية لصحة (OMS) السرطان " السرطان كمصطلح يستخدم لاستدل على التكاثر الخبيث الذاتي للعشوائيل الخلايا، ويؤدي إلى التشكيل للأورام التي يمكنها أن تغزو الأعضاء المجاورة أو البعيدة محطاً لأنسجة السليمة لتزاحمها حول استخدام الأغذية والأكسجين.⁽²⁾

2- تعريف الطفل.

حسبما ورد في المادة 1 من اتفاقية حقوق الطفل لسنة 1989 عرف الطفل كما يلي: "كل إنسان لم يتجاوز سن الثامنة عشرة، ما لم يبلغ سن الرشد قبل ذلك بموجب القانون المنطبق عليه"⁽¹⁾ . لعل من يقرأ نص هذه المادة يتبادر إلى ذهنه فكرة أن سن 18 كنهاية لمرحلة الطفولة أمر يتعارض مع أبسط التفسيرات العمرية لأن الإنسان بالبلوغ يدخل في مرحلة المراهقة ويترك مرحلة الطفولة.⁽²⁾ إلا أن محرري نص الاتفاقية قصدوا من وراء ذلك هو مد الحماية للطفل لأكبر فترة من العمر، كما أن الاتفاقية في باقي نصوصها أقرت للأطفال حتى سن الثامنة عشر عدة حقوق وحرّيات تناسب مراحلهم العمرية المتقدمة مثل الحق في الصحة الحق في حرية الرأي والتعبير⁽³⁾

⁽¹⁾ <https://ar.wikipedia.org/wiki>

⁽²⁾ www.who.int/ar المنظمة العالمية للصحة.

⁽¹⁾ اليونسيف اتفاقية حقوق الطفل، النص الكامل، اليونسيف، جنيف، دون ذكر السنة. □ 12.

⁽²⁾ محمد عبد الجواد محمد. حماية الأمومة و الطفولة في المواثيق الدولية و الشريعة الإسلامية، منشأة المعارف، الإسكندرية ، دون ذكر السنة، □ 56 .

⁽³⁾ ماهر جميل أبو خوات. الحماية الدولية لحقوق الطفل، دار النهضة العربية، (2005)، □ 23.

إذا السرطان هو مصطلح عام يشمل مجموعة من الأمراض التي يمكنها أن تصيب كل أجزاء الجسم، ويشار إلى تلك الأمراض أيضًا بالأورام. ومن السمات التي تطبع السرطان التولد السريع لخلايا شاذة يمكنها النمو خارج حدودها المعروفة واقتحام أجزاء الجسد المتلاصقة والانتشار إلى أعضاء أخرى، ويطلق على تلك الظاهرة اسم (النقلة)، والتي تمثل أهم أسباب الوفاة للأطفال المصابين بالسرطان.

3- أسباب الإصابة بالسرطان عند الأطفال.

يحدث سرطان الأطفال جراء تغير يطرأ على خلية واحدة ويمكن أن يبدأ تطور السرطان بتأثير العوامل الخارجية كالتعرض لمستويات عالية من الإشعاعات المؤينة والمركبات الكيميائية أو العوامل الجينية الموروثة.

ويصيب السرطان الأطفال ويمكن أن يؤثر على أي جزء من الجسم. ويبدأ في إحداث تغيير جيني في خلايا فردية تنمو بعد ذلك لتصبح كتلة / ورم، ويغزو أجزاء أخرى من الجسم ويسبب الضرر والوفاة إذا ترك دون علاج. وبخلاف السرطان الذي يصيب البالغين، فإن الغالبية العظمى من أنواع سرطان الأطفال مجهولة الأسباب. وقد سعت العديد من الدراسات إلى تحديد أسباب سرطان الأطفال، ولكن عدداً قليلاً جداً من أنواع سرطان الأطفال ناجم عن العوامل البيئية أو العوامل المتعلقة بنمط الحياة. وينبغي أن تركز الجهود المبذولة في مجال الوقاية من سرطان الأطفال على السلوكيات التي تقي الطفل من الإصابة بالسرطان الذي يمكن الوقاية منه عندما يصبح بالغاً.

وعلى العموم كما قلنا أسباب السرطان في مرحلة الطفولة غالباً غير معروفة ولكن يوجد هناك بعض الحالات المؤدية إلى الإصابة بسرطان الطفولة ك:

- التعرض للعدوى خاصة العدوى الفيروسية يلعب دوراً كبيراً في الإصابة بسرطان الطفولة كسرطان الكبد (التهاب الكبد ب) وساركوما كابوزي (فيروس نقص المناعة البشري HIV).
- لا توجد علاقة بين استخدام الموجات فوق الصوتية خلال فترة الحمل والإصابة بسرطان الطفولة.
- متلازمة داون أو غيرها من التشوهات الكروموزومية.

وتعتمد أعراض سرطان الطفولة على نوع السرطان فتختلف حسب العضو المصاب في الجسم، فسرطان الدم يمكن أن يسبب فقر الدم والتهابات متكررة أو نزفًا غير طبيعي أو كدمات ونادرًا جدًا وجود كتلة صلبة كعلامة أولية للمرض، أما سرطان الدماغ فيسبب صداعًا متكررًا وغثيان عند الاستيقاظ من النوم في الصباح وضعفًا عامًا ومشاكل في الرؤية، بينما تتورم الغدد الليمفاوية عند الإصابة بسرطان الجهاز الليمفاوي.

4- طرق العلاج.

من المهم للغاية الحصول على أكبر قدر ممكن من المعلومات عن طبيعة السرطان في الأطفال ومدى انتشار المرض وذلك لتوفير أفضل علاج ويعتمد العلاج على نوع السرطان ومرحلة المرض وعمر الطفل وغالبًا ما تكون فترة العلاج معقدة وهي كالتالي:

- العلاج الأولي: يكون بالتخلص من الخلايا السرطانية عن طريق الجراحة.
- العلاج المساند: يكون بقتل الخلايا السرطانية المتبقية بعد العلاج الأولي وذلك بالعلاج الكيميائي أو الإشعاعي.
- العلاج التلطيفي: وهو العلاج بغرض التحكم في مضاعفات المرض.

و من الآثار الجانبية لعلاج سرطان الأطفال نجد:

- فقدان للشعر خلال فترة العلاج.

- فقدان الشهية للطعام.

- يكون الطفل أكثر عرضة للعدوى من غيره.

- غثيان وقيء.

- ظهور تقرحات في الفم.

- نقص عدد كريات الدم الحمراء.

- إمساك.

- تلف الجلد (خاصة لمن تعرض للإشعاع).

- وقد يحدث بعض الآثار الجانبية الأخرى كظهور طفح جلدي، أو صعوبة في التنفس، أو نزول دم في البول وغيره.⁽¹⁾

وللعلم فسرطان الأطفال يختلف بشكل عام عن سرطان البالغين في ثلاثة أمور أساسية:

- يحدث سرطان الأطفال في كثير من الأحيان فجأة.
- لا يسبق ظهور المرض أعراض مبكرة.
- معدل الشفاء من سرطان الأطفال مرتفع عنه عند الكبار. وهناك 12 نوعاً من السرطان يُصيب الأطفال، ويعد اللوسيميا وسرطان الدماغ من أشهر أنواع السرطان التي تصيب الطفولة مع العلم أن مخاطر الإصابة بالسرطان لدى الأطفال الرضع تزيد وتقل كلما كبروا.

ووفقاً للجمعية الأميركية للسرطان "American Cancer Society" فإن سرطانات الأطفال يكون من الصعب التعرف عليها مبكراً وذلك لأن الأعراض المبكرة للمرض تتشابه مع أمراض أخرى شائعة مثل الحمى أو الإصابة بكدمات.

ويلعب التشخيص المبكر للعلاج وتلقي العلاج الملائم دوراً كبيراً في زيادة احتمال الشفاء ومعدل النجاة، وقد شهدت السنوات الماضية قفزة كبيرة في علاج سرطانات الأطفال، ويظهر هذا في ارتفاع معدلات الشفاء والنجاة من الموت لدى الأطفال المصابين بالسرطان في الدول المتقدمة.

5- أنواع سرطانات الأطفال.

* - الأورام النجمية astrocytomas

⁽¹⁾ محمد بن عبد الرحمن العقيل . السرطان، الجمعية السعودية الخيرية لمكافحة السرطان، المملكة العربية السعودية ، (2013)، 28.

هي أورام الدماغ والحبل الشوكي التي تنشأ من خلايا على شكل النجمة تساعد الخلايا العصبية في الدماغ أو الحبل الشوكي على الأداء، وقد تكون هذه الأورام سرطانية. و من ميزاتها صعوبة مشي الطفل و نقص رئيته و التقياً و الصداع. وهذا النوع من السرطان يعالج بالجراحة او المعالجة الكيماوية و الشعاعية. وتصل نسبة الإصابة بالاورام النجمية 40 %.

قد تُسبب الأورام النجمية في الحبل الشوكي ألماً في الظَّهر وصعوبة في المشي وضعفًا في العضلات.

• الأورام البِطانيَّة العَصَبِيَّةependymomas

هي أورام دماغية بطيئة النمو، تنشأ من خلايا تبطن الأحياز داخل الدماغ . حتى اليوم لا يعرف سبب هذه الأورام وتتطوي بعض اراضه على التقياً و الخمول و مشاكل التوازن

الأورام البطانانية العصبية هي ثالث أكثر أنواع أورام الدماغ عند الاطفال شيوعاً، وتصل نسبتها تصل إلى 10%. ويحدث حوالى ثلث الحالات عند الأطفال الذين تقل أعمارهم عن 3 سنوات.

• الورم الأرومي العَصَبِيneuroblastoma

هو سرطان شائع عند الأطفال، ينمو في أجزاء من الجهاز العصبي أو الغدتين الكظريتين ، لا يعرف سبب هذا السرطان و تستند الأعراض إلى مكان حدوث الورم الأرومي العصبي، مثل البطن أو الصدر أو العظام أو الجلد أو الحبل الشوكي. ويعد الورم الأرومي العَصَبِي الأكثر شيوعاً عند الرضع، ويحدث نحو 90% من جميع الأورام الأروميَّة العَصَبِيَّة عند الأطفال الذين تقل أعمارهم عن 5 سنوات.

* - السَّارَكومة العَصَلِيَّة المُخَطَّطَةrhabdomyosarcoma

هي سرطان سريع النمو يمكن يحدث في النسيج الرخو (مثل العضلات) وفي أي مكان في الجسم تقريباً ولكن يُعدُّ الرأس والعُنق والأعضاء التناسلية أو السبيل البولي، والأطراف هي المواضع الأكثر شيوعاً.

وتتراوح نسبة الإصابة بالسَّارَكومة العَصَلِيَّة المُخَطَّطَة بين 3 - 4% من حالات السرطان عند الأطفال. - الرأس والعنق 35%، السبيل التناسلي أو البولي 25 % الأطراف 20%

الجدع أو مواضع أخرى 20 %.

* - الورم الأرومي الشبكي retinoblastoma

هو سرطان في شبكية العين، وهي المنطقة الحساسة للضوء في الجزء الخلفي من العين. و تمثل الأورام الأرومية الشبكية حوالي 3% من سرطانات الطفولة، وهي تحدث دائماً تقريباً قبل العام الثاني من العمر. وتحدث في العينين معاً في نفس الوقت عند حوالي 25% من الأطفال.

ينجم هذا السرطان عن طفرة في جينات معينة تضبط تخلق العين، وفي بعض الأحيان، يرث الطفل الطفرة من أحد الوالدين. وفي أحيان أخرى، تنتقل الطفرة تلقائياً في وقت مبكر جداً في أثناء تخلق الجنين.⁽¹⁾

6- واقع مرض سرطان الأطفال في الجزائر.

يتضح لنا من الاحصائيات المنشورة ان وفيات الاطفال انخفضت جليا منذ الاستقلال الى يومنا هذا، حيث انخفضت من 174 ‰ سنة 1966 إلى 102,8 ‰ سنة 1980 ⁽¹⁾ ف 37,5 ‰ سنة 2001 ⁽²⁾ ليتواصل هذا الانخفاض ليصل الى 18.9 ‰ سنة 2020. ⁽³⁾

هذا الانخفاض كان ناتجا عن تحسن الشروط العامة للعيش من نظافة واكل ومسكن هذا من جهة ومن جهة أخرى لأثر البرامج الوطنية التي تم وضعها حيز التنفيذ لمحاربة وفيات الأطفال بتعميم التلقيح واجباريته وكذا الطب والعلاج المجاني بقانون 1976. الا انه تجدر الإشارة هنا الى ان الوفيات في

⁽¹⁾<https://www.msdmanuals.com/ar/home>

⁽¹⁾N. Dekkar et autres. La démographie Algérienne face aux grandes questions de la société, CNEAP,FNUAP,Alger ,1999, p. 20

⁽²⁾ONS. "Démographie Algérienne 2003", in **Données statistiques**, n°398,Alger,Juin 2004.p4

⁽³⁾ONS. "Démographie Algérienne 2020", in **Données statistiques**, n°949,Alger,2021.p5

السنوات الأولى من الحياة وخاصة الشهر الأول منها تبقى مرتفعة ولا زالت تشكل موضوع انشغال الصحة العمومية.

وللإشارة، إن نسبة وفيات الرضع التي كانت تمثل 43,30 % في بنية الوفيات العامة في سنة 1970 تقلصت بـ 18,50 % في سنة 2000 أي انخفضت بـ 57,30 % في مدة 30 سنة والان تشكل في 2020 10.3 % فقط.

ومن بين أسباب وفيات هؤلاء الأطفال هي الأورام السرطانية التي شكلت ولا زالت تشكل نسبة مهمة من وفيات الأطفال في الجزائر.

ففي الجزائر اليوم يتم تشخيص إصابة طفل بالسرطان كل 4 ساعات، ويسجل ما يقرب من 1500 - 2000 حالة جديدة من سرطانات الأطفال سنويا بما في ذلك اللوسيميا والأورام اللمفاوية وأورام المخ والعظام ، وكذلك الأورام الحميدة الأخرى . وهذا العدد هو في تزايد مستمر مع العلم أن 50 % من الحالات التي يتم تشخيصها هي في مرحلة متقدمة، وهذا هو السبب الرئيسي لوفيات الأطفال بهذا المرض.

لكن 80 % من السرطانات يتم علاجها إذا اتبعت علاجا فعالا. وأكثر من 70 % من الاطفال المرضى يحتاجون إلى دخول المستشفى. و الذي يمكن أن يمكثوا فيه الى أكثر من ستة أشهر خاصة بالنسبة لسرطانات الدم .

لكن للأسف فمراكز مكافحة السرطان (CAC) المنتشرة في جميع أنحاء البلاد ليس لديها الخدمات المجهزة الكافية لإدارة سرطان الأطفال، لا سيما فيما يتعلق بالجراحة والعلاج الكيميائي والعلاج الإشعاعي.

فلا يوجد سوى ثلاثة مراكز مخصصة لأورام الأطفال مقرها الجزائر العاصمة. بالمستشفى الجامعي مصطفى باشا ، المستشفى الجامعي نفيسة حمود/ بارني سابقا و المستشفى الجامعي بني مسوس و CPMC/ مركز ماري كوري في الجزائر العاصمة كذلك.

لهذا تعمل جمعية البدر منذ عام 2015 على مشروع بناء مركز سرطان الأطفال حيث تنازلت ولاية البلدية لهذه الجمعية عن قطعة أرض. ويشمل مركز أورام الأطفال هذا قطب اجتماعي وقطب طبي.

- القطب الطبي: بمساحة 6594 م²، مع 60 سريرا للمرضى الداخليين ومستشفى نهارى بسعة 20 سريرا، مجهزا بالخدمات السريرية والمنصات الفنية اللازمة للرعاية الطبية عالية الجودة.

- المركز الاجتماعي: بمساحة 1454 م²، متكون من 30 غرفة مخصصة لإيواء الأطفال وعائلاتهم. ليسمح للطفل بالحفاظ على الرابطة الأسرية وكذا مزود بالمدرسة والأنشطة الترفيهية.⁽¹⁾

قائمة المراجع:

- 1- أبو خوات ماهر جميل. الحماية الدولية لحقوق الطفل، دار النهضة العربية، (2005)،
- 2- بدح أحمد حمد و آخرون، الثقافة الصحية، دار المسيرة للنشر و التوزيع و الطباعة، عمان الأردن (2007) .
- 3- العقيل محمد بن عبد الرحمان . السرطان، الجمعية السعودية الخيرية لمكافحة السرطان، المملكة العربية السعودية ، (2013)
- 4- عبد الرحمن أمل الجودر، أنماط الحياة الصحية، وزارة الصحة، قسم التنقيف الصحي، المنامة، البحرين(2002) .
- 5- عبد الجواد محمد. حماية الأمومة و الطفولة في المواثيق الدولية و الشريعة الإسلامية، منشأة المعارف، الإسكندرية ، دون ذكر السنة .
- 6- اليونيسف اتفاقية حقوق الطفل، النص الكامل، اليونيسف، جنيف، دون ذكر السنة.
- 7- Dekkar .Net autres. La démographie Algérienne face aux grandes questions de la société, CNEAP,FNUAP,Alger ,1999.
- 8- <https://www.msdmanuals.com/ar/home>
- 9- <https://elbadrchildrenccancercenter.org/>

(1) <https://elbadrchildrenccancercenter.org/>

- 10- <https://www.who.int/ar/news-room/fact-sheets/detail/cancer-in-children>
- 11- <https://ar.wikipedia.org/wiki>
- 12- ONS. "**Démographie Algérienne 2003**", in Données statistiques, n°398,Alger,Juin 2004.
- 13- ONS. "**Démographie Algérienne 2020**", in Données statistiques, n°949,Alger,2021.
- 14- www.who.int/ar. المنظمة العالمية للصحة
- 15- Yves juvain, Patrick roux. **petit Larousse de la médecine**. Distributeur messageries ADP, montereal, canada(2002)